

## دين رباني

خضوع الانسان والكون كله للناموس الإلهي

الارتباط الوثيق بين دين الله والعلوم المتعلقة بالنواميس الكونية

الدين الرباني والإنتاج والابداع المادي

وشيجة العقيدة هي الوشيحة الوحيدة التي تربط الناس في دين الله

المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي

وفي مقابل دين الله

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. محمد صلى الله عليه وسلم.. وبعد.

## خضوع الانسان والكون كله للناموس الإلهي

إن هذا الوجود كله من خلق الله.. أودعه - سبحانه - قوانينه التي يتحرك بها.. وهذا الناموس الإلهي ينسق بين مفردات هذا الوجود كلها.. وينظم حركاتها جميعاً.. وهذا الوجود.. خاضع لمشيئة الله التي تدبره.. ومستسلم لهذا الناموس الذي ينسقه.. بحيث لا يخطر له في لحظة واحدة أن يخالفه.. يقول عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.. فهو لهذا كله.. كون صالح لا يدركه العطب والفساد إلا أن يشاء الله.

والإنسان من هذا الوجود الكوني.. والقوانين التي تحكم فطرته ليست بمعزل عن ذلك الناموس الذي يحكم الوجود كله.. ولقد خلق الله الإنسان - كما خلق هذا الوجود - لذلك فهذا الإنسان.. خاضع من ناحية كيانه الجسمي للناموس العام الذي سنّه الله له.. فالإنسان يُولّد وفق الناموس الذي وضعه الله لمدة الحمل وظروف الولادة.. ثم هو يتنفس ويتحرك ويحس فيتألم ويفرح ويجوع ويعطش ويأكل ويشرب.. إنه يعيش وفق ناموس الله عن غير إرادة منه ولا اختيار.. شأنه في هذا شأن هذا الوجود وكل ما فيه ومن فيه.. في الخضوع المطلق لمشيئة الله وقدره وناموسه.. وهذا ما يسمى بالجانب اللاإرادي في الإنسان.

أما الجانب الإرادي في الإنسان.. فلقد اختار الله عز وجل.. لهذا لإنسان "دين الإسلام".. لتنظيم حياته الإرادية تنظيماً متناسقاً مع حياته الطبيعية.. ولذلك فدين الله - على هذا الأساس - ما هو إلا قطاع من الناموس الإلهي العام الذي يحكم فطرة الإنسان.. وفطرة الوجود العام.. وينسقها كلها جملةً واحدة.

إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.. لذلك فإن الالتزام بهذا الدين الرباني يحقق التناسق بين القوانين التي تحكم فطرة البشر والقوانين التي تحكم حياتهم الظاهرة.. ويحقق التناسق بين حياة الإنسان وحركة الكون الذي يعيش فيه.. ومن أجل ذلك.. يصبح الالتزام بهذا الدين الرباني.. واجباً لتحقيق ذلك التناسق وصيانة للحياة من كل أنواع الفساد.. وذلك لأن البشر في رحاب دين الله.. يعيشون في سلام مع أنفسهم.. و سلام مع هذا الكون.. وينشأ هذا السلام.. من تطابق حركة البشر مع حركة الكائنات والكون من حولهم.. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

### الارتباط الوثيق بين دين الله والعلوم المتعلقة بالنواميس الكونية

إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ولذلك فهناك ارتباط وثيق.. بين هذا الدين الرباني.. وبين سائر العلوم المتعلقة بالنواميس الكونية.. إنها كلها تؤدي إلى الله حين لا يستخدمها الهوى المنحرف للابتعاد عن الله.. فالعلم الرباني.. يتعلق بالقوانين الطبيعية وتسخيرها في طاعة الله وفي خلافة الأرض.. بالضبط كتعلقه بالعقيدة والفرائض والشرائع.. لكن العلم الذي ينقطع عن دين الله.. ليس هو العلم الذي يعنيه القرآن ويثني على أهله بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

### الدين الرباني والإنتاج والابداع المادي

إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ولذلك فإن الإبداع المادي وحده.. لا يسمى في الإسلام حضارة.. فقد يكون وتكون معه الجاهلية.

ولذلك فإن الحضارة الإسلامية.. يمكن أن تتخذ أشكالاً متنوعة في تركيبها المادي.. لأن أشكال الحضارة تتأثر بدرجة التقدم الصناعي والاقتصادي والعلمي.. ولكن.. تبقى الأصول والقيم التي تقوم عليها هذه الحضارة الإسلامية ثابتة. إن الاتجاه التحريبي الذي قامت عليه الحضارة الصناعية الأوروبية الحاضرة.. لم ينشأ ابتداءً في أوروبا.. وإنما نشأ في الجامعات الإسلامية في الأندلس والمشرق.. مستمداً أصوله من مصدره الرباني وتوجيهاته. إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر وبذلك يتحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله.. وينال الإنسان كرامته.. وتكون هذه هي الحضارة بمعناها الصحيح.

إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ولذلك فإن الإنتاج المادي.. هو من مقومات الخلافة في الأرض عن الله.. ولا يعتبرها الإسلام هي القيمة العليا التي تمدر في سبيلها خصائص " الإنسان " ومقوماته.. وتهدر من أجلها حرية الفرد وكرامته. إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ولذلك فإن المسلم.. يمكنه أن يطلع على كل آثار النشاط الجاهلي.. ولكن لا ليُكَوَّن منه تصوره ومعرفته في هذه الشؤون كلها.. إنما ليعرف كيف تنحرف الجاهلية.. وليعرف كيف يصحح ويقوم هذه الانحرافات البشرية.. ثم يكون الرجوع في شأن النشاط الفكري والفني.. والثقافة والإبداع العلمي.. وشؤون الحياة كلها.. إلى هذا المصدر الرباني.

### وشيجة العقيدة هي الوشيجة الوحيدة التي تربط الناس في دين الله

إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ولذلك فليس هناك إلا وشيجة واحدة تربط الناس في الله.. وشيجة العقيدة.. وليس هناك إلا داراً واحدة هي دار الإسلام..

لقد جاء الإسلام ليرفع الإنسان ويخلصه من وشائج الأرض والطين.. ومن وشائج اللحم والدم.. فلا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله.. فتقوم الروابط بينه وبين سكان هذا الوطن.. على أساس الارتباط في الله.. فلا جنسية للمسلم إلا عقيدته التي تجعله عضواً في " الأمة المسلمة " في " دار الإسلام ".. ولا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبثق من العقيدة في الله.. فليست قرابة المسلم أباه وأمه وأخاه وزوجه وعشيرته.. ما لم تعقد الآصرة الأولى آصرة العقيدة.. فتتصل من ثم

بالرحم ولا يمنع الإسلام من مصاحبة الوالدين بالمعروف مع اختلاف العقيدة.. ما لم يقف في الصف المعادي للجهة المسلمة.. فعندئذ لا صلة ولا مصاحبة.. ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

فحين تفرق العقيدة.. تنقطع جميع الوشائج والروابط.. وشيخة الأبوة كما في قصة نوح.. وشيخة البنوة كما في قصة إبراهيم.. وشيخة الأهل والعشيرة كما في قصة أصحاب الكهف.. ورابطة الزوجية كما في قصص امرأتين نوح ولوط.. وامرأة فرعون. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ.. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وفي مقابل ذلك.. حينئذ اتصلت وشيخة العقيدة.. توطدت العلاقة.. بين المهاجرين والأنصار.. فإذا هم أهل وإخوة. واتصلت الوشيخة بين المسلمين العرب وإخوانهم: صهيب الرومي.. وبلال الحبشي.. وسلمان الفارسي.. واختفت تماماً عصبية القبيلة.. وعصبية الجنس.. وعصبية الأرض.. وجاء بدلاً عنها.. الأخوة الإيمانية.

## المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي

إن دين الله الذي اختاره للبشر.. دين رباني.. دين من رب العالمين.. الذي يخضع له الكون كله.. دين لتنظيم حياة البشر ولذلك فالمجتمع الجاهلي.. هو كل مجتمع تتمثل فيها عبودية البشر للبشر.. مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون.

وفي هذا المجتمع الجاهلي.. تقوم العلاقات بين الجنسين على أساس الهوى والنزوة.. وتتخلى المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الجيل الجديد.. لكي تنفق طاقتها في " الإنتاج المادي " .. ويكون المفهوم الأخلاقي منحصر في المعاملات الاقتصادية والسياسية في حدود مصلحة الدولة.. وعندئذ يكون " التخلف الحضاري ".

أما المجتمع المسلم.. فهو المجتمع الذي تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الأساسية.. وتصبح هذه العقيدة هي جنسية المسلم.. وفي هذا المجتمع المسلم.. تكون " الأسرة " هي قاعدة المجتمع.. وتقوم هذه الأسرة على أساس " التخصص "

بين الزوجين في العمل.. وتكون رعاية الجليل الناشئ هي أهم وظائف الأم.. ويكون الجهاد لنصرة دين الله وشريعته لا لأي هدف من الأهداف.. ويكون النصر تحت راية العقيدة.. وهذا هو المجتمع المتحضر بكل المقاييس.

## وفي مقابل دين الله

وفي مقابل دين الله.. أهواء البشر.. فعندما يتخذ الإنسان.. ديناً غير دين الله.. شريعةً لحياته مستمدة من الهوى وليس من دين الله.. فإنه بذلك يحيد عن الحق الكامن في أعماق فطرته تحت تأثير هواه.. وعندما لا يستسلم لله استسلام هذا الوجود الخاضع لمولاه.. فعندئذ يقع الشقاق بين الإنسان وفطرته.. ويقع الشقاق بين الأفراد والجماعات والأمم.. كما يقع بين البشر والكون من حولهم فتقلب قواه وذخائره.. إلى وسائل تدمير وشقاء.. بدلاً من أن تكون وسائل عمران وسعادة للإنسان.. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.. فحينما يحدث خروج عن شرع الله.. يحدث هذا الضنك.

وفي مقابل دين الله.. وعندما يتخذ الإنسان.. ديناً غير دين الله.. يقع الصراع والخوف والهلع.. وعدم البركة وعدم الأمن التي تعيشها الشعوب التي أوغلت في عصيان الله عز وجل.. ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.. عذاب خالد في نار جهنم ومن أجل ذلك كله.. لا يجوز للإنسان ولا للبشرية.. أن تضع شريعة مستقلة.. عن هذا الدين الرباني.. لأن هذا تصادم وتناقض مع الحقيقة.. إن الإنسان عبد الله.. والكون عبد الله.. وأن ما يسير الكون ينبغي أن يسير الإنسان.. فكلاهما من مصدر واحد.. من عند الله.. فكما أن الكون عبد الله وحده.. ولا يدعي أحد أنه خلق هذا الكون.. أو أنه يسير الكون ويسير الأفلاك.. فكذلك الإنسان.. لم يخلق نفسه لكي يصنع لنفسه شريعة من دون الله.

إن الالتزام بهذا الدين الرباني.. يحقق الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة.. يحقق الطمأنينة والحياة السعيدة في الدنيا بين الإنسان وبين نفسه.. وبين الإنسان وبين الناس.. وبينه وبين الكون.. قبل أن تكون مجرد نجاة له من الحساب في الآخرة. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً﴾.. ثم يتم تمام هذه السعادة.. وتبلغ كمالها في الدار الآخرة.. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.